Cahiers de Traduction

Volume 32 Issue 02 / Juin 2026 PP 95-111

دفاتر الترجمة
Cahiers de Traduction

ISSN 1111- 4606
EISSN 2602-6023

دراسة لترجمة منير البعلبكي للعامية إلى العربية في رواية "*البؤساء*" لفيكتور هيجو

A Study of Mounir Al-Ba'labakki's Translation of Dialect into Arabic in *Les Misérables* by Victor Hugo

رمضان صنية[1]، أ. د. عمار بوقريقة[2]

[1] جامعة أبو القاسم سعد الله الجزائر 2، sonia.ramdane@univ-alger2.dz
[2]جامعة محمد الصديق بن يحي جيجل، ammar.boukrika@univ-jijel.dz

تاريخ الاستلام: 2026/04/27 **تاريخ القبول: 2026/06/05** **تاريخ النشر 2026/06/10**

ملخص:

يتناول البحث بالدراسة اللغة العامية وكيفية ترجمتها من الأدب الفرنسي إلى العربية. ولأن هذه اللغة التي تضمنتها رائعة البؤساء Les Misérables لمؤلفها فيكتور هيجو Victor Hugo تعد ظاهرة اجتماعية وجزءا لا يتجزأ من الثقافة الفرنسية، يتساءل البحث عن الكيفية التي نقل بها منير البعلبكي العامية في الرواية السالفة الذكر، من خلال استقصاء أهم الصعوبات التي واجهت المترجم أثناء نقل مفردات العامية وعباراتها وإلى الوقوف على التقنيات والآليات التي لجأ إليها المترجم لنقل هذا المستوى من اللغة، ومدى قدرتها على الحفاظ على أبعادها الدلالية وحمولتها الثقافية. وقد خلص البحث إلى أن ترجمة العامية، رغم نجاح المترجم في نقل المعنى العام للنص، تشكل تحديا كبيرا وتؤدي أحيانا إلى فقد الأبعاد الاجتماعية والأسلوبية للنص، وبخاصة أمام هيمنة اللغة العربية المعيارية التي لا تمتلك لغة عامية موحدة، وأن هذه اللغة تبدي مقاومة شديدة عند ترجمتها.

كلمات مفتاحية: تقنيات الترجمة، الأدب الفرنسي، البؤساء، العامية، الرواية، فيكتور هيجو، منير البعلبكي

Abstract :

This research examines dialect and its translation from French into Arabic. As this linguistic variety, prominently featured in Les Misérables, constitutes both a social phenomenon and an integral component of French culture, the study investigates how Mounir Al-Ba'albakki renders dialect in the aforementioned novel. Particular attention is given to the text's precise social function, as it reflects the specificities of the oppressed classes in France during the nineteenth century. The analysis focuses on the difficulties encountered in translating such language and the techniques employed to overcome them. The findings indicate that the rendition of dialect poses a significant challenge and often results in the loss of the text's social and stylistic dimensions, especially in light of the dominance of Standard Arabic, alongside which no unified dialectal equivalent exists.

Keywords: translation techniques ; French literature ; Les Misérables ; dialect ; novel ; Victor Hugo ; Mounir Al-Ba'albakki

1.مقدمة:

لا شك أن ترجمة اللغة العامية argot تعد من بين القضايا الشائكة في مجال الترجمة، لكونها تنشأ في خضم مجتمع له خصوصيته الثقافية التي تميزه عن غيره من المجتمعات. إذ تعبر في الأدب الروائي الفرنسي عن "لغة الشارع" التي لطالما تداولتها فئات اجتماعية معينة تتسم غالبا بالتهميش وبانتمائها للعالم السفلي الباريسي، أي لغة كل ما هو مرذول في المجتمع. حيث وصفها الكاتب الفرنسي فيكتور هيجو Victor Hugo في روايته Les Misérables على أنها ظاهرة لغوية ونتيجة للتفاعلات الاجتماعية، وقد نعتها أيضا بأنها لغة حرب (Hugo, 2003).

لقد اعتبرت العامية لفترة طويلة شكلا هامشيا وتحريفا للغة المعيارية. لكنها أضحت اليوم تحتل مكانة هامة في دراسة اللغات الطبيعية، حيث أصبحت وسيلة أساسية للتعبير عن الانتماء الاجتماعي والهوية الثقافية. وتتميز هذه اللغة باستعمالها داخل فئات مجتمعية بغية إبراز الانتماء لمجموعة محددة، أو حتى خلق شيء من الألفة بين أفراد المجموعة وكذا التحايل على القواعد الصارمة للغة، وإظهار نوع من الذكاء والمكر الذي يتقد في ذهن الفرد المتبني لهذا المستوى من الاستعمال اللغوي ليواجه به الظروف الصعبة، وضغوط الحياة، وكذلك استعمالها كتعويض عن الإحساس بالنقص والتهميش.

تعد رواية البؤساء 1862 من أبرز الأعمال الأدبية والفنية التي جاد بها الأدب الفرنسي خاصة والأدب العالمي عموما على مدار التاريخ، نظرا لملحميتها الواسعة وعمقها الفلسفي ورؤيتها الاجتماعية والسياسية والثقافية والدينية. وتوظيف العامية الباريسية في هذه الرواية –وهو السمة البارزة فيها– والذي يرتبط بالقرن التاسع عشر، لم يكن وليد الصدفة، بل كان تعمد الروائي إظهاره كرصيد ثقافي يتجاوز حدود وصفه مادة لغوية إلى اعتباره ظاهرة تحمل وظيفة اجتماعية دقيقة تعكس خصوصية الطبقات المقهورة في المجتمع الفرنسي في القرن التاسع عشر. ولهذا تشكل ترجمة هذا النوع من السجل اللغوي المشفر في غالبية الأحيان إلى العربية والذي يتعلق، دون شك، بثقافة مغايرة تحديا كبيرا للمترجم، خاصة في كنف ازدواجية اللغة العربية بين ما هو فصيح وما هو عامي، وعلى اعتبار أن اللغة العربية لا تمتلك عامية واحدة في ظل تعدد اللهجات في الوطن العربي. إن ترجمة العامية الضاربة في عمق الاستعمال من أصعب المهام في الدراسات الترجمية، لأنها لغة محملة بالثقافة و الهوية و الانتماء الاجتماعي (Baker, 2018). ضف إلى ذلك وجود تقاليد أدبية راسخة تمنح الأولوية والأفضلية للغة العليا (الفصحى) high variety وتقصي اللغة الدنيا (العامية) low variety من الاستعمال في المجالات الرسمية و المقدسة (Ferguson, 1959).

وعلى الرغم من الأهمية البالغة لموضوع ترجمة العامية في النص الأدبي، إلا أن الدراسات المتعلقة بها لاسيما في سياق الترجمة من الفرنسية إلى العربية تبقى محدودة ونادرة. ففي حدود اطلاعنا، لا توجد دراسات كافية تعالج إشكالية ترجمة العامية بشكل مباشر ومعمق. وتجدر الإشارة إلى بعض الدراسات التي تناولت العامية بوصفها ظاهرة لغوية ومنها كتاب ألفه اللساني الفرنسي Guiraud عام 1973، بعنوان L'argot. فقد رأى أن العامية تمثل نظاما لغويا اجتماعيا يعكس هوية جماعة معينة، ولا يقتصر على كونه

انحرافا عن اللغة المعيارية، مما يجعل ترجمته تحديا يتطلب الحفاظ على وظيفته التداولية. أما في الدراسات الترجمية، فيمكن أن نشير إلى دراسة قامت بها مريم إبرير عام 2008 حول ترجمة التعابير الجاهزة في البؤساء بين الفرنسية والعربية، ودراسة أبو عيشة أحلام فرح عام 2015 حول ترجمة أغاني من رواية البؤساء تجري فيها مقارنة ترجمات النص الأصل في ثلاث لهجات وكان ناتج الترجمة بطرق مختلفة. وبناء عليه، يبرز نقص في الدراسات التي تعالج ترجمة العامية في الأعمال الروائية، وهذا ما يحاول هذا البحث تدارك ولو جزء بسيط منه.

إشكالية البحث

من خلال ما سبق ذكره، يمكن طرح الإشكالية التالية:

كيف نقل المترجم منير البعلبكي اللغة العامية أو لغة "السّوقة" –كما يسميها– في رائعة "البؤساء" إلى العربية دون أن يخل بالمعنى العام للنص وبالسياق الأدبي ككل؟

تنبثق من هذه الإشكالية الرئيسة التساؤلات الفرعية التالية التي من شأنها أن تقرب القارئ من موضوع البحث أكثر:

أ– ماهي أهم الصعوبات التي واجهت المترجم أثناء نقل مفردات العامية وعباراتها؟

ب– ماهي التقنيات التي وظفها المترجم في ترجمة هذا الصنف من اللغة؟

ج– إلى أي مدى تمكن المترجم من المحافظة على الأبعاد الدلالية والأسلوبية وكذا الشحنة الثقافية والاجتماعية لهذه اللغة في ظل الفروق اللسانية والسوسيوثقافية بين النظامين اللغويين؟

د– وهل يمكن اعتبار العربية الفصحى وسيطا مناسبا لنقل العامية، أم أنه على المترجم أن يلجأ إلى العامية العربية كخيار تمليه الضرورة؟

أهداف البحث

يهدف البحث إلى بيان كيفية نقل المترجم منير البعلبكي اللغة العامية في رواية "البؤساء" إلى العربية وذلك من خلال الوقوف على أهم الصعوبات التي واجهت المترجم أثناء نقل مفردات العامية وعباراتها و الكشف عن التقنيات والآليات التي لجأ إليها المترجم لنقل هذا المستوى من اللغة، ومدى قدرتها على الحفاظ على أبعادها الدلالية وحمولتها الثقافية، وبالمقابل اقتراح البدائل الأكثر دقة وفعالية–إن وجدت– لتحسين الترجمة إن سنحت الفرصة بذلك.

أهمية البحث

لا تزال ترجمة اللغة العامية مجالا يتطلب مزيدا من الكشف، لاسيما فيما يتعلق بالأعمال الأدبية الكلاسيكية بين الفرنسية والعربية. ولعل من شأن هذ البحث أن يبرز الفروق الجوهرية بين النظامين اللغويين للغتي المتن والهدف بغية فهم أعمق لأساليب التعامل مع الثغرات اللسانية والماوراءلسانية. ولكون هذه اللغة حاملا لشحنة ثقافية وناقلا لهوية اجتماعية، فقد تكشف ترجمتها عن

حجم الخسارة في المعنى، لا سيما وأنها تسعى، أي الترجمة، لتمثيل طبقات المجتمع الفرنسي في النص المترجم. ثم إن البحث ذو أهمية عملية من خلال عرضه لنماذج تطبيقية عملية تساعد على تطوير مهارة اتخاذ القرار عند مواجهة صعوبات أثناء ترجمة نصوص من هذا القبيل.

منهجية البحث

للإجابة عن هذه التساؤلات وبلوغ الهدف، تم الاعتماد على منهج تحليلي نوعي يسعى إلى استخراج المفردات والعبارات العامية من النص المصدر وتحليلها، ثم مقارنة الأصل بالترجمة، ومن ثم الوقوف على التقنية المستخدمة إن كانت (تكافؤ أو تكييف أو حذف) أو الاستراتيجية الموظفة (توطين أو تغريب، ترجمة دلالية أو ترجمة تواصلية)، ومدى كفاءتها في الحفاظ على السجل اللغوي وعلى الدلالة الإيديولوجية، واقتراح البدائل الممكنة والمناسبة. أما فيما يخص النماذج من أصناف العامية، فقد تم اختيارها من الرواية لاسيما فصول "غافروش الصغير"، و"الآرغو"، و"حوارات تيناردييه" ...، وهي شواهد سيقت على سبيل المثال لا الحصر.

2.الإطار المفاهيمي للعامية وأصولها وخصائصها

تعد العامية في رواية "البؤساء" من الظواهر اللغوية المتميزة التي تعكس ديناميكية المجتمع الفرنسي وتنوع طبقاته اللغوية والثقافية عبر التاريخ. حيث يورد البحث، فيما يلي، تفاصيل مهمة عن خصائصها مع الإحالة إلى أصولها التاريخية.

1.2.مفهوم العامية

تعرف العامية على أنها نمط لغوي خاص بمجموعة من المجتمع أو حتى فئة مهنية معينة، حيث يستخدم بهدف تمييز أفرادها عن غير المنتمين إليها، وبغية ترسيخ هوية جماعية خاصة من خلال توظيف ألفاظ ذات طابع إيحائي ومشفر (Valdman, 2000). وهي أحد أشكال اللهجات الاجتماعية sociolecte التي ينبغي تمييزها عن اللغة الاصطلاحية المتخصصة Jargon المقتصر استعمالها على أفراد مهنة أو نشاط بعينه والمتسم بثراء معجمه التقني والدقيق (CNRTL, 2026). وقد ورد تعريف المصطلح في القاموس الفرنسي Dictionnaire français d'argot الخاص بالمفردات العامية تحت اسم Arguche، على أنه:

> مصطلح عام يستعمل للتعبير عن أي لغة خاصة [...]. كل الجماعات وكل المهن لها لغة خاصة بها (واستعمل هذه الكلمة لأتوافق مع الاستخدام العام)، والتي تساعد الأفراد المنتمين لكل منها على التفاهم فيما بينهم ؛ لغة حيوية، تصويرية، قوية كما هو حال كل ما هو من صنع الجماهير، وغالبا ما استعارت اللغة الوطنية منها كلمات مهمة.[...].وكان على اللصوص والمحتالين والماكرين، الذين يعيشون في صراع مستمر مع المجتمع، أن يشعروا، أكثر من غيرهم، بالحاجة إلى لغة تمكنهم من التحدث بحرية دون أن يُفهموا ؛ ولهذا، بمجرد ظهور جماعات اللصوص كان لها لغتها الخاصة، لغة فُقدت كما فُقد الكثير من الأشياء الأخرى". (Vidocq, 2002, p. 6) ترجمتنا.

يبدو جليا مما تم عرضه من الآراء حول هذا المصطلح أنها تتفق جميعا، على الأرجح، على أن العامية مجموعة من الألفاظ والتعابير غير الرسمية التي تستعملها فئات محددة من المجتمع، بحيث تكون غير مفهومة خارجها وذات طابع غامض وترميزي. وغالبا ما ترتبط اللهجات وحتى اللغة العامية ارتباطا وثيقا بمؤشرات اجتماعية كالطبقة، والعمر، والنوع الاجتماعي، والانتماء الجغرافي (Baker, 2018) ،بينما يذهب هيجو إلى وصف هذا النمط بأنه ليس مجرد لغة سوقيّة فحسب، بل يمنحه أبعادا فلسفية واجتماعية وثقافية حتى بات لسان الطبقات المهمشة من اللصوص، والمتسولين، والسجناء، وأطفال الشوارع، حيث يوجد البؤس، والظلم، والفقر، والانحراف، والرذيلة، بالإضافة إلى كونه أداة تواصل في عوالم موازية خفية عن المجتمع الرسمي (Hugo, 2003). فالكاتب يراه نظاما قائما بذاته لوصف معاناة المستضعفين في المجتمع الفرنسي، وطرق تفكيرهم.

2.2.لمحة عن نشأة العامية وتطورها التاريخي

يشير كالفي Calvet (2007) إلى أنه يصعب تحديد تاريخ العامية بدقة متناهية لأنها ظاهرة شفوية بطبيعة الحال، وأن كل ما توفر للباحثين هو مجرد آثار مكتوبة جاءت متأخرة، وأن القول أن آثاره تعود إلى القرن الخامس عشر لا ينفي وجوده قبل ذلك، وإنما يعكس هذا التاريخ بداية تدوينه. ومن الحقائق التاريخية المتعلقة بهذه الظاهرة، أن أصل مصطلح argot يعود إلى مصطلح الجارغون jargon الخاص بأفراد مجرمين، ومتسولين، ومهمشين من المجتمع يتحدثون لغة فيما بينهم دون أن تفهمهم لا السلطات ولا حتى عامة الناس إلى غاية القرن الثالث عشر، أين بدأ توثيقه تحت صيغتي gargon أو gergon، ثم تحول إلى jabelin، وأخيرا إلى argot في القرن الخامس عشر (Mickùnaityté, 2024). ويعتبر عام 1455 التاريخ الرسمي لميلاده في ديجون Dijon– مدينة تقع بشرق فرنسا على مقربة من الحدود السويسرية–، خلال محاكمة الكوكيار Coquillards ، حيث تم توثيق أول استعمال معجمي له. وكانت هذه الأشكال اللغوية الشعبية تستبعد من اللغة الكلاسيكية على مدى القرون التالية (Mickùnaityté, 2024). وقد ظهر المصطلح رسميا في الكتابة عام 1628 في Le Jargon ou language de l'argot réformé للكاتب أوليفييه شيرو Ollivier Chéreau، ولكن لم يكن المصطلح حينها يعني طريقة كلام، بل كان يشير إلى مكان يُتحدث فيه بلغة الشحاذين jargon des gueux (Gensane, 2026).

ومن النقاط التي تجدر الإشارة إليها أن بداية توظيف العامية في الأدب تم رصدها في القرن السابع عشر مع جون دو لا فونتين Jean de la Fontaine الذي سمح لنفسه أن يخالف القاعدة ويدرج بعض المفردات في كتاباته (Tritter, 1999, cité dans Mickùnaityté, 2024). وتم رصدها أيضا مع جيهان بوديل Jehan Bodel في Le Jeu de Saint Nicolas حيث جعل اللصوص يتحدثون في حانة، في أبيات يكتنفها غموض كبير (Gensane, 2026). أما القرن الثامن عشر، فلم يفسح المجال لمثل هذه اللغات التي رفض الجميع الاعتراف بها كجزء هام من اللغة الفرنسية، وصولا إلى القرن التاسع عشر الذي غير المعادلة حيث شهد تحولا بارزا بفضل فرنسوا–أوجين فيدوك (1775–1857) François-Eugène Vidocq الذي كشف العامية للجمهور، في مذكراته المنشورة بين عامي 1828 و 1829 وقد احتوت على معجم عامي استغله عدد من الكتاب الرومانسيين أمثال هيجو في Les Derniers Jours d'un condamné وفي الرواية قيد البحث، وأوجين سو Eugène Sue في les

Mystères de Paris، وأيضا بالزاك Balzac في Splendeurs et misères des courtisanes، وبهذا دخلت العامية الأدب من أوسع أبوابه حتى أصبح يطرح، ولأول مرة في تاريخ الأدب، إشكالا حقيقيا (Tritter, 1999, cité dans Mickùnaityté, 2024).

ولقد شهد النصف الثاني من القرن التاسع عشر ظهور عدة دراسات حول العامية على يد أمثال فرانسيسك ميشيل Francisque Michel والفريد دلفو Alfred Delvau، وبحلول القرن العشرين، كثرت الدراسات حول الموضوع خاصة كتاب Les Sources de l'argot ancien لمؤلفه لازار سانين Sainéan Lazare عام 1912، وكتاب Les argots لمؤلفه آلبير دوزا Albert Dauzat المنشور عام 1929 (Calvet, 2007, cité dans Mickùnaityté, 2024). فالدراسات عديدة ولا يسع المجال إلى ذكر جميعها

ومع مرور الزمن، عرف هذا النمط من اللغة تطورا ملحوظا في فرنسا، حيث انتقلت مفرداته وعباراته إلى الاستعمال اليومي ليصبح جزءا من اللغة العامية بفضل عوامل عديدة. حيث يشير Napieralski (2008) إلى أن اللغة في تغير مستمر بسبب الامتزاج الثقافي والمعجمي الناشئ عن الأحياء المهمشة بالإضافة إلى الثورة التكنولوجية، وظهور الأنترنت، وعولمة اللغة، فقد كانت هذه العوامل —حسبه– دافعا قويا لخلق وحدات معجمية جديدة وتكييف تلك الموجودة سابقا. واليوم تتجه الرؤى في فرنسا إلى الدفاع عن اللغة المعيارية ضد كل التأثيرات الأجنبية، بينما في الوقت ذاته، تسلك العامية مسلكا مغايرا حيث تشهد تطورا وانفتاحا كبيرين ؛ إذ تتغذى، على وجه الخصوص، من لغات المغرب، إلى جانب اللغة الإنجليزية (Napieralski, 2008).

3.2.خصائص العامية ووظائفها

يكتسي هذا النمط من اللغة خصائص عديدة تجعل منه ظاهرة فريدة داخل النظام اللغوي، ناهيك عن وظائف متعددة داخل الخطاب والتي من شأنها أن تخلق تحديا حقيقيا لكل مترجم قد يفكر في خوض غماره.

1.3.2.الخصائص اللغوية

تتميز العامية في الأدب الفرنسي، على المستوى الدلالي بغنى المعنى وعمقه ؛ إذ تحمل الكلمة الواحدة عدة دلالات حسب السياق الذي وضعت فيه، ذلك أن العامية الفرنسية تعكس أنماطا لغوية غير معيارية في أوساط عديدة ينتمي إليها المتكلم، مما يصعّب على المترجم إيجاد مكافئات لها في اللغة العربية. أما على المستوى المعجمي، فتنزع العامية إلى توليد ألفاظ جديدة–الديناميكية والتجدد– وتوظيفها مجازيا أو ما يسمى بالانزياح الدلالي لتحقيق أغراض تواصلية. وتتميز العامية، أيضا، بمرونة وبساطة تضفيان عليها لمسة من الابتكار المستمر تسعى إلى خرق قواعد اللغة. وتجدر الإشارة إلى وجود آليات لغوية مختلفة تعيد تشكيل الألفاظ عبر اشتقاقات شكلية اعتباطية كإضافة اللواحق، والحذف، والاختصار، والتحوير الصوتي والشكلي والقلب le verlan، وتركيب الكلمات، دون إغفال تداخل هذه العمليات المختلفة كما في capiston بدلا من capitaine(Denice, s.d.). وكذا الاقتراض من لغات أخرى كالإنجليزية نحو jober عوضا عن travailler ، ومن العربية mehlich لتدل على ce n'est pas grave

(Gensane, 2026). وقد تعددت وسائل الابتكار ولا يمكن حصرها أو الإحاطة بها جميعا، وسنكتفي بالقول أن أغلب هذه الوسائل تقوم على اللعب بالألفاظ والمعاني لتمنح الكلمات المألوفة دلالات خاصة، وبالتالي تساهم في خلق عدة أنماط من العامية، ذلك المعجم الذي يتسم بالحيوية، والطرافة.

2.3.2.الخصائص السوسيولسانية

يذهب كالفي Calvet (2007) إلى أن ما يميز العامية هو وظيفتها التشفيرية cryptique لإخفاء المعنى عن الغرباء الذين يقبعون خارج الأوساط المغلقة، ثم اكتسبت العامية وظيفة رمزية emblématique ترتبط بالبعد الاجتماعي للتعبير عن الهوية والانتماء والتي من شأنها أن تعكس موقع المتكلم داخل المجتمع وانتماءه إلى فئة محددة (شباب، عمال، مجرمين، طلبة ...). أما دورها الإقصائي، فيجعل حدودا فاصلة بين أفراد المجموعات المختلفة من جهة، ومن جهة أخرى يزيل الحدود ويخلق تضامنا قويا بين أفراد المجموعة الواحدة، ويوحد مواقفهم وانفعالاتهم (تمرد، تهكم، رفض)، الشيء الذي يمنحها بعدا تداوليا ضمن الوظيفة التعبيرية. وقد أثبتت التجارب الإنسانية أن العامية غير ثابتة وسريعة التغير، وهذا دليل على حيوية المنتسبين لها (Gadet, 2007). ومن غير الممكن أن نتجاهل ذلك التفاعل الدائم بينها وبين اللغة العامة واللغة المعيارية، إذ تدخل مفرداتها مجال الاستعمال العام، ثم تعود العامية لتنهل من اللغة المعيارية مجددا (Gadet, 2007).

يمكن القول أن العامية نشأت كوسيلة مشفرة للتواصل داخل مجموعات مغلقة ومهمشة، ثم أضحت مع الزمن ظاهرة لغوية وثقافية أوسع، حيث ساهمت في إظهار ديناميكية اللغة الفرنسية وإثرائها من خلال التفاعل بين اللغة والمجتمع عبر العصور.

3.العامية في ضوء الآراء التنظيرية الترجمية

يتطرق هذا البحث إلى أبرز المقاربات النظرية لترجمة العامية، ويسلط الضوء على أهم التقنيات المعتمدة في نقلها، سعيا لتحقيق التوازن بين دقة المعنى والحفاظ على الأثر الأسلوبي داخل النص المترجم.

يرى يوجين نايدا Nida (1964, P. 159) وفقا لنظرية التكافؤ أن "الترجمة التي تسعى إلى تحقيق تكافؤ ديناميكي بدلا من التكافؤ الشكلي هي ترجمة ترتكز على مبدأ الأثر المكافئ" ترجمتنا. ففي ترجمة العامية، لا يكفي نقل المعنى الحرفي، بل يجب إيجاد تعبير في اللغة الهدف يحدث الأثر الاجتماعي والانفعالي نفسه الذي تلقاه قارئ النص الأصل. لذلك، قد يستبدل لفظ عامي بلفظ عامي في لغة الهدف. أما مقاربة جون بول فيناي وجون داربلنيه Jean Darbelnet و Jean-Paul Vinay ، فتمنح المترجم تقنية التكافؤ équivalence الذي يسعى إلى إيجاد تعبير آخر في اللغة الهدف يحدث الأثر التداولي والاجتماعي ذاته حتى وإن اختلفت البنية، بالإضافة إلى تقنية التكييف adaptation التي تستبدل تعبيرا غائبا عن الثقافة كليا بآخر يؤدي الوظيفة ذاتها ولكنه لا يعتبر معادلا حقيقيا بتاتا مادام هذا التعبير يتعلق بثقافة بعينها دون غيرها، والتعديل modulation الذي يفيد في تغيير زاوية النظر لتقريب المعاني (Vinay & Darbelnet, 1958). وقد صنفا هذان المنظران الاقتراض borrowing ضمن التقنيات

المباشرة في الترجمة، حيث تقترض الوحدة من خلال المحافظة على شكلها الغريب إلى اللغة المنقول إليها في حالة الغياب الكلي للمقابل شكلا ومعنا (Vinay & Darbelnet, 1958). ولهذا فتوظيف الاقتراض في هذه الترجمة غير مستبعد، على الأرجح، لأنه يكفل الحفاظ على غرابة اللفظ أو التعبيرexotisme.

ومن جهة أخرى، تجعل النظرية الوظيفية skopos عند هانس فيرمير Hans J. Vermeer هدف الترجمة عاملا أساسيا ؛ فالهدف هو من يحدد اختيارات المترجم للاستراتيجيات والتقنيات، فربما يميل إلى المحافظة على الطابع الشعبي للنص بتوظيف لفظ مكافئ أو تبسيطه إذا كان هدف النص التوضيح. ويطرح Venuti،(1995) من جهته، ثنائية التوطين Domestication والتغريب Etrangéisation، حيث يتأرجح المترجم بين كفتين ؛ فإما أن يكيف العامية مع ثقافة المتلقي ويستعمل عامية محلية معروفة لديه أو أن يبقي على غرابة السجل الاجتماعي الفرنسي بالحفاظ على اللفظ أو شرحه. وأخيرا يوضح Newmark (2006) البعد الثقافي في الترجمة مؤكدا على ضرورة مراعاة الخصوصيات الثقافية للنص والتي يعتبرها ودائع ثقافية لا توجد لها مقابلات في اللغة المنقول إليها بوصفها خانات فارغة lacunes، وبالتالي تضع المترجم أمام تحديات صعبة. فإما أن يبحث عن مكافئ ثقافي مناسب أو يكتفي بشرحه في حالة غياب المقابل. وهو ما يجعل ترجمة العامية عملية لا تقتصر على النقل اللغوي فحسب بل تتجاوزه إلى إعادة بناء دلالي وثقافي يحافظ على الهوية الاجتماعية للنص داخل لغة الهدف.

وقد لا يكفي النقل الحرفي في ترجمة العامية مادامت هذه الأخيرة تعكس لغة مشفرة خاصة بمجتمع ما. فهي من أصعب أنواع اللغة ترجمة لاتصافها بالتغيرات الدلالية المستمرة، والإيحاءات والاستعارات المحلية التي يصعب على المتلقي فهمها. ويبرز هذا الإشكال عند الانتقال بين لغتين تختلفان في كل البنى. ولهذا قد يلجأ، إضافة إلى التقنيات السابق ذكرها، إلى الشرح والتفسير لإيضاح الدلالات التي قد تكون غير مألوفة، رغم ما قد يُفقد النص من بعض خصوصياته. ومن بين التقنيات التي تذكر في هذا المضمار، المكافئ الثقافي équivalent culturel وهو مقابل ثقافي قريب في اللغة الهدف والمكافئ الوظيفي équivalent fonctionnel وهو مقابل في لغة الهدف يؤدي وظيفة شبيهة بالوظيفة التي يؤديها المصطلح الوارد في النص (وهاتان التقنيتان تتفقان مع أسلوب التكييف لدى فيناي وداربلنيه)، وإعادة الصياغة الإبداعية réformulation créative للحفاظ على الروح اللغوية والوظيفة التواصلية للعامية (Newmark, 2006).

لقد تعددت التقنيات والاستراتيجيات التي اقترحها منظرو الترجمة. ولأن طبيعة العامية وخصوصيتها الثقافية تجعل من الصعب حصرها، يظل المترجم أمام تحد صعب وفي تفكير وبحث مستمرين يتطلبان مرونة إبداعية وذكاء متقدا وفهما عميقا للثقافتين للحفاظ على روح النص الأصل. فقد تؤثر قرارات المترجم بشكل مباشر على النص المترجم ؛ إذ يمكن أن تؤدي إلى تقريبه من ثقافة القارئ أو إلى الحفاظ على طابعه الأجنبي (Venuti, 1995). ويترتب على ذلك اختلاف في تلقي النص وفهمه. كما أن الإفراط في التحييد ؛ أي اختيار عناصر أكثر عمومية وأقل خصوصية، قد يؤدي إلى فقدان البعد الاجتماعي للعامية، في حين يجعل الحفاظ عليه النص أقل وضوحا. لذا يتعين على المترجم تحقيق توازن دقيق بين الأمانة للنص الأصل وقابلية الفهم في اللغة الهدف.

4.مقاربة تحليلية لنماذج تطبيقية بين الأصل والترجمة

النموذج الأول

… , tandis que ***la gargote*** de Montfermeil sombrait et s'engloutissait peu à peu…(Hugo, 2003, t. 2, l. 6, p. 517)

…، فيما كان ***فندق*** مونفيرماي يغرق ويبتلع شيئا فشيئا … (هيجو، ترجمة البعلبكي، 1955، م. 4، ص. 191)

جاء في القاموس الفرنسي (Argoji) معنى اللفظ gargote على أنه نزل رديء تقدم فيه وجبات شحيحة ومتواضعة بطرق لا تراعي شروط النظافة، وهو مشتق من الفعل gargoter الذي يعني الأكل والشرب بطريقة غير نظيفة وفي الأماكن العامة (Boutler, s.d.). وقد استخدم هيجو هذا اللفظ العامي، الذي ارتبط بأحياء باريس الفقيرة، في وصف نزل تيناردييه إشارة منه إلى الطبقات الشعبية المعدمة، ونمط العيش القاسي والبسيط. وقد كانت غايته جعل القارئ يتصور بيئة قذرة ومهملة، وربما هو تعاطف مع الفقراء في محاولة منه لانتقاد البنية الاجتماعية لفرنسا في القرن التاسع عشر. إلا أن البعلبكي ترجم هذا المصطلح العامي باللفظ العربي الفصيح والحديث "فندق"، والذي يحيل إلى مكان للإقامة غالبا ما يحمل دلالة محايدة وحتى راقية، وفي هذه الترجمة نوع من الانزياح الدلالي الذي أفرغ الكلمة من حمولتها الاجتماعية.

إن مثل هذا القرار لا يحقق التكافؤ الوظيفي من وجهة نظر نايدا ولا ينقل الأثر التداولي ذاته (Nida, 1964) . ذلك أن القارئ الفرنسي يتلقى انطباعا سلبيا واضحا، في حين يتلقى القارئ العربي اللفظ "فندق" كفضاء محترم وراق. أما من منظور نيومارك، فإن هذه الترجمة قد تلجأ إلى استعمال لفظ فصيح في التعبير إذا كان المكافئ الدقيق غير متاح أو غير ملائم ثقافيا ومنه فقدان البعد السوسيوثقافي للفظ في الأصل. وبالتالي، تبدو ترجمة المصطلح العامي الفرنسي بـ "فندق" ترجمة غير دقيقة، بل قد تكون مربكة أحيانا، فعندها يصبح من الأفضل ربط المصطلح بوصف يعكس الشحنة الثقافية باللجوء إلى المكافئ الوصفي équivalence descriptive كأن يقال "فندق مونتفيرماي الرديء" أو أكثر دقة منه "نزل مونتفيرماي الرديء" ؛ وهي ترجمة من شأنها أن تحافظ على البعد التشخيصي للرواية والصبغة التحقيرية فيها.

النموذج الثاني

…Observait la boutique afin de voir s'il ne pourrait pas ***"chiper "*** dans la devanture un pain de savon…(Hugo, 2003, t. 2, l. 6, p. 521)

كان يراقب الدكان لكي يرى ما إذا كان في استطاعته ***أن يسرق*** قطعة صابون من الواجهة. (هيجو، ترجمة البعلبكي، 1955، م. 4، ص. 197)

يقصد بالفعل chiper في العامية الفرنسية سرقة الشيء خلسة بمهارة وخفة ودهاء (Boutler, s.d). والملاحظ أن ترجمته إلى العربية الفصحى "أن يسرق" تعد مثالا يعكس صعوبة ترجمة هذا المستوى من اللغة. ففي معناه الفرنسي يوحي بسرقة بسيطة وخفيفة، لذلك فترجمة الفعل بـ "يختلس" أو "يأخذ خلسة" قد تكون أفضل وأقرب إلى المعنى لأنها تحافظ على درجة الخفة، وهذا وفق التكافؤ الديناميكي الذي يسعى إلى نقل الأثر ذاته للمتلقي. أما عند نيومارك، فالفعل "يختلس" أو "يأخذ خلسة" يتطابق مع الترجمة التواصلية لأنها تنقل الوظيفة الاجتماعية للكلمة، حتى ولو اعتبرناها ترجمة تقريبية. وفي ضوء نظرية الهدف عند فيرمير، فقد تعتمد بعض المقابلات العامية مثل "يشفط، ينشل، يقص، يطرشق،..." إذا رغبنا في الحفاظ على اللون الأسلوبي العامي، أو يتم اللجوء إلى العربية الفصحى إذا كان النص رسميا.

وفي مناقشة قرار المترجم في اعتماد العربية الفصحى "أن يسرق"، فإن هذا القرار ضمن نقل جانب من المعنى للقارئ، لكنه أدى إلى اختفاء البعد الاجتماعي للفظ وإضعاف أثره على المتلقي.

النموذج الثالث

Ah ça, ***mômes***, avons-nous dîné ? (Hugo, 2003, t. 2, l. 6, p. 524)

آه، ها، أيها ***الولدان الصغيران***، هل تعشيتما ؟ (هيجو، ترجمة البعلبكي، 1955، م. 4، ص. 201).

تشير كلمة môme في اللغة العامية إلى "طفل" يحال إليه بأسلوب شعبي وبسيط (Boutler, s.d.). وقد ترجمت بالمقابل "ولد صغير"، وهو ما نظنه مناسبا لهذا السياق العامي للحفاظ على النبرة الاجتماعية بدلا من "طفل" التي قد تبدو عربية فصحى محايدة، ومن شأنها أن تفرغ الكلمة من بعدها العامي والشعبي. ويلاحظ أن البعلبكي اعتمد اللفظ "صبي" أيضا كمقابل لألفاظ أخرى من نفس القبيل نحو "moutards" و"momichards " محققا بذلك ترجمة تواصلية تركز على الأثر في المتلقي، حيث أنها الأنسب لأنها تنقل بساطة في التعبير، وبساطة في النبرة والبعد الاجتماعيين. زد على ذلك، فهي تناسب النصوص الأدبية لأن هدفها نقل الأسلوب والبيئة الاجتماعية. ومن منظور نيومارك، فإن إحداث الأثر المشابه هو هدف الترجمة التواصلية، أما عند نايدا فإن إحداث الأثر ذاته هو هدف التكافؤ الدينامي، فإن شعر المتلقي الفرنسي أن اللفظ môme بسيط وغير رسمي وشعبوي، فإنه حري أن يشعر القارئ العربي بالشعور ذاته مع اللفظ "ولد صغير". ونرى أن المترجم كان صائبا في هذا القرار، وأن ترجمته موفقة ولا غبار عليها.

النموذج الرابع

Ça ne se doit pas, ***gamins***. (Hugo, 2003, t. 2, l. 6, p. 524)

وهذا غير مناسب، أيها ***المتشردان***. (هيجو، ترجمة البعلبكي، 1955، م. 4، ص. 202)

يطلق اللفظ gamin على الأطفال ذوي الثياب الرثة الذين يجوبون شوارع باريس، وهو مشتق من الفعل gaminer الذي يفيد "يتصرف كولد شوارع"، "يعيش حياة الصبية المشاغبين" و"يتسكع كالأطفال المتشردين" (Boutler, s.d.). وقد تمت ترجمته بالنعت العربي الفصيح "المتشردان" في وصف ولدي السيدة تيناردييه التي تخلت عنهما بسبب الحاجة. إن النعت العربي ينتمي إلى اللغة المعيارية ويبدو وصفا قاسيا نوعا ما مقارنة ببراءة الأطفال التي يدافع عنها هيجو في الرواية. كما أنه لا يعكس الصبغة الشعبية للفظ والمراد نقلها إلى اللغة الهدف لأن الانتقال تم من العامية إلى الفصحى. ولكن يبقى هذا القرار هو الأنسب حسب هذا السياق. فالهدف من توظيف هذا اللفظ العامي ربما يكمن في إبراز البعد الاجتماعي المأساوي للطفلين حيث أنهما بقيا بلا أب ولا أم ولا مأوى، وعليه تتجلى نظرية skopos حيث أن الهدف يحدد طريقة الترجمة ويوجه قرار المترجم.

النموذج الخامس

Morfiler.(Hugo, 2003, t. 2, l. 6, p. 526)

وقال غافروش للطفلين الصغيرين : ***أزيلا القراضة عن الموسى المسنونة***.(هيجو، ترجمة البعلبكي، 1955، م. 4، ص. 204)

يحمل الفعل الفرنسي morfiler معنى يأكل في لغة الآرغو (Vidocq, 2002, p. 93) . وفي معناه التقني إزالة البرادة الناتجة عن شحذ السكين أو موس حلاقة قصد تنظيفه (CNRTL, 2026). والملاحظ أن المترجم نقل اللفظ بحرفية تامة حيث ترجم هذا الفعل بعبارة "أزيلا القراضة عن الموسى المسنونة". تبدو الترجمة غريبة بعض الشيء عند القراءة الأولى، لكن يتضح معناها بعد بضعة أسطر في الرواية، حين عبر الولدان عن دهشتهما لعدم فهمها مقصود غافروش من قوله morfiler، والذي أردف قائلا وهو يضحك "كلا" لأنه علم أن الولدين لم يدركا معنى الفعل لصغر سنهما. فربما قصد الكاتب بهذا اللفظ أن يصف طريقة أكل الخبز بنهم، بحيث لا يترك الولدان منه أي أثر أو فتات من شدة الجوع، ويتركا طاولة الطعام نظيفة كما ينظف السكين من الشوائب المعدنية بعد الشحذ وهذا هو الرأي الغالب على الأرجح.

يظهر توظيف عبارة "إزالة القراضة عن الموسى المسنونة" في سياق الأكل تحولا دلاليا –مبنيا على علاقة تشبيهية– من المعنى الحرفي إلى معنى مجازي يفيد استهلاك الخبز دون ترك بقايا مما يسمح بإنتاج معنى جديد يتمثل في الأكل بشراهة أو نهم إلى حد عدم الإبقاء على أي فتات. وعليه يمكن القول أن المترجم تخلى عن البنية المجازية الأصلية للفعل واستبدلها بمعناها الحرفي قبل انتمائها للعامية ليؤدي الوظيفة التداولية نفسها ويحقق الأثر نفسه لدى المتلقي، ويندرج هذا الاختيار ضمن التكافؤ الديناميكي لنايدا، وهو قرار موفق إلى حد بعيد.

النموذج السادس

Tu vas donc te colleter avec ***les cognes*** ? (Hugo, 2003, t. 2, l. 6, p. 528)

إذن سوف نشتبك مع ***الشرطة*** ؟ (هيجو، ترجمة البعلبكي، 1955، م. 4، ص.207)

لجأ هيجو في هذا المقام إلى توظيف لفظ عامي خاص les cognes. وهو لفظ يشير في العامية إلى عناصر الدرك وحتى رجال الشرطة في سياق غير رسمي، وغالبا ما يحمل دلالة سلبية أو تهكمية، وهو مشتق من الفعل cogner بمعنى "يضرب" (Boutler, s.d.). ومنه جاء الاستعمال المجازي للفظ باعتبار أن رجال الدرك ورجال الشرطة هم من يمارسون العنف والضرب. فهي ليست مرادفا لـ police، بل تحمل بعدا اجتماعيا يعكس نظرة الشعب المتمردة تجاه السلطة. وقد قرر البعلبكي ترجمته بمقابل محايد، مما يفقد الكلمة العامية حمولتها السلبية والتهكمية. فالإشكال هنا لا يتعلق بالمعنى فحسب، بل بنقل الشحنة الإيحائية connotation. وما قام به المترجم هو توظيف استراتيجية التوطين.

النموذج السابع

On dit pas ***la nuit***, on dit ***la sorgue.*** (Hugo, 2003, t. 2, l. 6, p. 539).

نحن لا نقول ***الظلمة*** ولكن نقول ***العتمة***. (هيجو، ترجمة البعلبكي، 1955، م. 4، ص. 223)

تعني كلمة la sorgue في العامية الفرنسية " الليل " ببعده الاجتماعي وبنبرته الشعبية (Boutler, s.d.). لكن المترجم استبدل ثنائية (sorgue /nuit) بـ (الظلمة/العتمة)، وهذا يتطلب شيئا من التدقيق. فبالنسبة لثنائية هيجو، فقد وظف فيها لفظا عاديا محايدا مقابل لفظ عامي خاص، وفي ذلك تقابل أسلوبي معياري مع عامي. في حين لجأ البعلبكي إلى استعمال لفظين مترادفين تقريبا. كما أن الفرق بينهما يبدو ضئيلا من حيث الأسلوب والحمولة الاجتماعية. فبهذا الإجراء والتغيير الذي أحدثه المترجم على النص الأصل جعله يفقد خاصيته في تمكين المتلقي من التعرف على ما يقال في اللغة المعيارية وما يقابلها في العامية. ما يرى أن هذه الترجمة لا تعكس الفرق بين الطبقات، ولا وظيفة العامية التي تبدو غائبة كليا. فإن كانت الترجمة تهدف، من منظور نظرية سكوبوس، إلى نقل العامية إلى اللغة الهدف والمحافظة على صبغتها الثقافية ووظيفته الاجتماعية فإن الترجمة في هذه الحال تبدو قاصرة وظيفيا لأنها ببساطة أخفت ملامح الاختلاف الطبقي بين مستويي اللغة (المعياري والعامي الخاص)، فلم يظهر أبدا هذا الاختلاف في الترجمة.

فإن كنا إزاء قارئ عادي وغير مثقف وهو يقرأ الترجمة من باب الاستمتاع بالقراءة، سوف لن ينتبه إلى مسألة العامية في هذا الموضع بالذات، وسيمر مرور الكرام على النص، وسوف يظن أنه أمام مجرد تنويع في الأسلوب. أما القارئ المتخصص في الترجمة وربما الأدب، سيدرك أن النص قائم على المقابلة بين اللغة المعيارية واللغة العامية، وأن الترجمة ألغت هذا التقابل، وسيحس أن هناك نقص أو خلل ما في الترجمة. ومن منظور فينوتي، فإن هناك مبالغة في توطين النص على حساب تغريبه والحفاظ على التجربة الأصلية. وعليه كان من المستحسن أن تترجم كلمة nuit بـ "الليل"، وكلمة sorgue بالمقابل ذاته "العتمة" مع إضافة وصف نحو "العتمة

الحالكة بلغة الشارع" على سبيل المثال. ويبدو جليا أن الكلمة تظهر مقاومة شديدة أمام الترجمة ويصعب نقلها بسلاسة إلى اللغة العربية.

النموذج الثامن

Pigritia est un mot terrible.[…] ***la pègre***, lisez : le vol. (Hugo, 2003, t. 3, l. 7, p. 3)

بيغريشيا *pigritia* كلمة رهيبة.[…] ***جماعة السارقين*** *la pègre*. (هيجو، ترجمة البعلبكي، 1955، م. 4، ص. 253)

يشير اللفظ اللاتيني pigritia– ويقابله في الفرنسية paresse– إلى حالة تجمع بين الكسل والخمول وتتجاوز البعد الجسدي لتشمل فتور الإرادة والتقاعس عن أداء الواجب (CNRTL, 2026). فمن الملاحظ أن اللفظ يرتبط بسلوكيات الأوساط الهامشية المنحرفة ؛ وبمعنى آخر، خمول الإرادة يمكن أن يكون عاملا مهيئا للانحراف والانخراط في السرقات والنشاطات الإجرامية التي يصفها هيجو، وهو ليس لفظا عاميا. وقد اعتمدت الترجمة على الرسم اللفظي ؛ أي الاقتراض "بيغريشيا"، وهو ما ينسجم مع مفهوم فيناي و داربلنيه وكذلك مفهوم نيومارك لهذا الأسلوب الذي يسميه التحويل transference، إذ يحافظ على الشكل الأصلي والثقافة المحلية مما يضفي على النص نوعا من الغرابة. فاكتفى المترجم باقتراضه دون إضافة حاشية في الهامش تفسر معناه الدقيق في اللغة الفرنسية وعلاقته المباشرة بالسرقة، وعليه بقي معنى اللفظ غامضا بالنسبة للمتلقي العربي.

ومن جهة أخرى، أورد الكاتب مسترسلا في السياق ذاته لفظا آخر من العامية la pègre ومعناه جماعة اللصوص و السارقين المحترفين (Vidocq, 2002, pp. 102-104)، فلهذا اللفظ علاقة بالذي تم اقتراضه أولا، حيث يبدو أن pigritia هي سبب في استفحال السلوكيات المنحرفة في الأوساط الهامشية ومنها السرقة، فكان من الواجب علينا أن نوضح معناه ونفسر الأسلوب الذي تم نقله به إلى العربية. ونعود إلى اللفظ pègre حيث قام بتفسيره في متن النص le vol، بيد أن البعلبكي قرر أن ينقل معناه بـ "جماعة السارقين" رافعا السجل اللغوي إلى العربية الفصحى بلفظ ميسر والتي حافظت على قابلية القراءة ولكنها أفقدت النص جزءا من الحيوية واللون الاجتماعي. أما فيما يتعلق بالاقتراض فكان من المستحسن، حتى لا يُربك القارئ، إرفاقة بحاشية يفسر من خلالها دلالة اللفظ المرتبطة بالسرقة والانحراف مما يساعد على نقل المعنى الثقافي والنفسي والسلوكي.

النموذج التاسع

Vous trouvez dans ***ces potains***-là une foultitude de raisons…(Hugo, 2003, t 3, l. 7, p. 5)

أنت واجد في ***هذا اللغو*** جمهرة من الأسباب. (هيجو، ترجمة البعلبكي، 1955، م. 4، ص. 257)

يكتب هذا اللفظ على الشكل potins، غير أن هيجو اعتمد الشكل الكتابي potains، ومعنى اللفظ واحد. وقد وردفي القاموس الفرنسي Dictionnaire de l'Académie Française (s.d.) أن اللفظ نورماندي ويعود إلى القرن السابع عشر، وهو مشتق من الفعل potiner بمعنى ثرثر وتجاذب أطراف الحديث، والفعل ذاته مشتق من potine وتعني "موقد صغير للتدفئة" حيث اعتادت النسوة جلب مواقدهن للسهرات ويجتمعن لتبادل أطراف الحديث.

إن اللفظ ذو نبرة شعبية، وحيث أنه كتب في رسالة غرامية من سيدة تريد أن تتحرر من علاقة عاطفية، فالمقصود منه كلام عادي بطريقة عفوية. وتعويضه في نص الترجمة باللفظ الفصيح "اللغو" الذي يشير إلى كلام لا قيمة له، ولا فائدة ترجى منه، وفيه نوع من الحكم السلبي في الثقافة العربية، لا يحقق الأثر ذاته، وبالتالي يخالف مبدأ التكافؤ الديناميكي عند نايدا ويحدث أثرا سلبيا لا يتوافق مع الطابع العفوي والعاطفي للنص. والأفضل أن يترجم ببدائل مثل "الثرثرة" أو "الكلام الكثير" أو حتى "كلامي هذا"حسب السياق. أما مسألة تعويض العامية كمكون ثقافي بآخر من جنسه في الثقافة العربية تبدو صعبة لأن العربية تحوي لهجات عديدة، ومنه فاختيار مقابل عامي مثل "هدرة" و "رغي"، و "حكي"، و...من باب تحقيق التكافؤ الديناميكي في الترجمة حسب نايدا يمكن أن يحقق أثرا تداوليا قريبا، لكنه يظل محدود الانتشار جغرافيا من جهة، ومن جهة أخرى نتساءل عن أية لهجة يمكن توظيفها في خضم تعدد اللهجات في الوطن العربي. وعليه يُفضّل اعتماد صيغ فصيحة ذات صبغة تداولية للموازنة بين الأمانة الأسلوبية وقابلية التلقي.

النموذج العاشر

Il connaissait des ***rapins***… (Hugo, 2003, t. 3, l. 11, p. 104)

وكان يعرف بعض ***المبتدئين في فن الرسم***. (هيجو، ترجمة البعلبكي، 1955، م. 4، ص. 401)

ورد في قاموس CNRTL (2026) أن اللفظ rapin يشير إلى متدرب في الرسم ذي طابع بوهيمي يكلف بالأعمال البسيطة والدنيا ؛ أي تلميذ رسام عند أستاذ خاص، ويتميز بصفات مثل: الخيال، والشباب، والمرح. إذن هو لفظ من لغة الآرغو يحمل دلالة اجتماعية، ونفسية، وأسلوب حياة متميز، وليس دارس فنون فحسب. أما عن بوهيمي bohème، فيقصد بها شخص فنان يعيش حياة غير مستقرة، وبعيدة عن النظام الاجتماعي و الوظيفة الثابتة (CNRTL, 2026). فحسب التعريف، ومن خلال السياق الذي يشير إلى علاقة غافروش، طفل الشارع، بهؤلاء الرسامين، يتجلى لنا بوضوح أنهم ينتمون إلى الطبقة الشعبية المهمشة التي يتحدث عنها هيجو في الرواية. وعليه فترجمة هذا اللفظ بالمقابل العربي الفصيح "مبتدئين في فن الرسم" تفقد اللفظ بعده الاجتماعي والإيحائي والذي يقصد منه السخرية من أسلوب حياة هؤلاء الفنانين. ولربما أراد البعلبكي من هذه الترجمة أن يوصل الفكرة للقارئ عن هؤلاء الفنانين ويبسطها تحقيقا للتواصل من منظور نيومارك، لكنه أضاع من جهة أخرى الإيحاء والبعد الاجتماعي. ويندرج هذا الأسلوب في الترجمة أيضا ضمن استراتيجية التوطين لأنه ببساطة يزيل الغرابة عن النص ويفقده النكهة الباريسية، في حين يقربه من القارئ، فيصبح بذلك النص واضحا وسهل الفهم.

بيد أنه كان بمقدور المترجم أن يمسك العصا من وسطها فيقرب المفهوم العامي للفظ بأن يتصرف في الترجمة بحيث يحافظ على خصوصيته الثقافية بإضافة مؤشر جديد كأن يقول "المبتدئين البوهيميين في الرسم"، ويعتبر هذا الإجراء تصريحا بمعاني ضمنية يحملها اللفظ في طياته من جهة، ومزجا بين استراتيجيتين في الترجمة هما الترجمة التواصلية والترجمة الدلالية. وبهذا الخيار الترجمي، يترك عبء بناء المعنى واستكماله على عاتق القارئ العام وربما القارئ شبه المتخصص. أما القارئ المتخصص أو المثقف، فسيدرك مباشرة المعنى المقصود دون عناء.

5.حدود الدراسة وعقباتها

واجهت الدراسة الحالية عقبات وحدود يمكن إجمالها فيما يلي:

– ندرة الدراسات حول موضوع العامية، وحول مواضيع نقد الترجمات العربية المتعلقة بالرواية خلق فجوة في هذا المجال. كما أن اقتصار البحث على ترجمة واحدة للرواية عمل على تضييق نطاق التحليل في البحث.

– بما أن عدد النماذج المختارة في العينة محدود ومن الصعب، دون أدنى شك، الإلمام بكل ما تضمنته الرواية، فقد تكشف ترجمتها عن استراتيجيات وتقنيات أخرى لم ترد في العينة على اعتبار أن الرواية تتسم بالطول وتضم زخما كبيرا من الألفاظ والتعابير العامية التي لم تتناول بعد بالتحليل، الأمر الذي من شأنه أن يحول دون القدرة على تعميم النتائج المتوصل إليها.

6.توصيات واقتراحات

نأتي الآن إلى جملة من الاقتراحات والتوصيات، نلخصها فيما يلي:

– إن القيام بدراسات تقارن بين ترجمات عديدة للرواية أمر هام لاكتشاف إمكانيات اللغة العربية في نقل اللغة غير المعيارية (العامية). كما يوصى باعتماد فصحى غير رسمية مبسطة بنبرة محكية واستخدام مكافئات وظيفية وأساليب متفاوتة داخل الفصحى في حد ذاتها لمحاكاة الفوارق الاجتماعية.

– يمكن اختبار ترجمة العامية بعامية تلقى فهما واسعا في الأوساط العربية ولكن بتوازن دون مبالغة مع إمكانية إرفاقها بحواشي المترجم إن دعت الضرورة إلى ذلك. فمن شأن البدائل العامية الواسعة الفهم أن تعمل على استرجاع ولو جزء من روح النص كالدعابة، والسخرية، والتهكم، والرفض، وغيرها من الانفعالات للحفاظ على البعد الثقافي والاجتماعي للغة في المقام الأول.

7.خاتمة

حاول هذا البحث التطرق إلى تحليل إشكالية ترجمة العامية (الآرغو) في رواية البؤساء، وذلك من خلال تحليل أهم التقنيات التي اعتمدها المترجم في نقل خصائص هذا المستوى اللغوي من الفرنسية إلى العربية، وقياس مدى قدرتها على المحافظة على الخصوصية الاجتماعية، والنبرة الشعبية، والحمولة الثقافية للنص الأصل، وكذلك نقل التجربة الإنسانية بأمانة. وانطلاقا من فكرة أن ترجمة من

هذا القبيل تشكل تحديا كبيرا للمترجم بسبب ارتباطها بسياقات متعددة، أظهرت النتائج أن العامية ليست لغة هامشية، بل أداة ساهمت في بناء الواقعية الاجتماعية ومثلت التفاوت الطبقي في المجتمع الفرنسي في القرن التاسع عشر، حيث تبين أنها تبدي مقاومة شديدة أثناء انتقالها إلى اللغة العربية. وفي هذا السياق، تبين أن البعلبكي نزع إلى توظيف لغة عربية فصحى محايدة بحثا عن السلاسة والوضوح وخدمة لفهم القارئ، وهي الأسلوب الأكثر استعمالا غالبا. لكن ما يعاب على ترجمته أنه بالرغم من نجاحها في نقل المعنى العام للنص وجعله أكثر وضوحا ومقروئية، إلا أنها عملت على إخفاء بعض ملامح العامية، بالإضافة إلى إضعاف أثر العامية الأصلية وافتقادها لطابعها الشعبي المميز، وبالتالي تقويض الوظيفة الاجتماعية للغة في الرواية. ومن المهم أن نشير إلى أن هذا التقويض يدفع بشخصيات الرواية إلى الانسلاخ عن طبقاتها الاجتماعية الهامشية وإبعادها عن الواقع الذي أراد الكاتب ترسيخه في الرواية ونقله للقارئ. ولهذا لجأ المترجم إلى تقنيتي الترجمة الحرفية والاقتراض واستراتيجيتي الترجمة التواصلية والتوطين، فجاءت ترجمته موفقة في بعض المواضع على عكس مواضع أخرى أين كانت الترجمة تحتاج إلى تحسين. ويمكن إرجاع هذا الاختيار إلى عدم وجود مكافئات مباشرة للعامية في لغة لهدف، وإلى السعي كذلك لضمان مقروئية النص حتى ولو خسر النص جزءا من ملامحه.

مراجع الدراسة

Abu Eicha, A. F. (2015). *Standard Arabic subtitling vs. multi-dialectal Arabic mimicking in the translation of songs from Les Misérables* (Master's thesis, An-Najah National University, Nablus, Palestine).

Baker, M. (2018). *In other words: A coursebook on translation* (3rd ed.). Routledge.

Boutler, C. (s.d.). *Argoji: Dictionnaire d'argot classique*. sur https://www.russki-mat.net (consulté le 01 avril 2026).

Calvet, L.-J. (2007). *L'argot*. Presses Universitaires de France. sur https://shs.cairn.info (consulté le 29 février 2026).

Centre National de Ressources Textuelles et Lexicales (CNRTL). (2026). *Jargon*., sur http://www.cnrtl.fr/lexicographie/jargon (consulté le 31 Mars 2026).

Denice, F. (s.d.). *Les argots: Histoire de la langue française (1880–1914)*. CNRS Éditions., sur https://books.openedition.org (consulté le 01 avril 2026).

Dictionnaire de l'Académie française. (s.d.). *9th edition*. sur https://www.dictionnaire-academie.fr (consulté le 01 avril 2026).

Ferguson, C. A. (1959). *Diglossia*. *Word, 15*(2). sur http://www.mapageweb.umontreal.capdf (consulté le 01 avril02026).

Gadet, F. (2007). *La variation sociale en français*. Presses Universitaires de France.

Gensane, A. (2026). *Argot*. *Publictionnaire: Dictionnaire encyclopédique et critique des publics*. sur https://hal.science/hal-05531835v1 (consulté le 29 Février 2026).

Guiraud, P. (1956). *L'argot*. Presses Universitaires de France.

Hugo, V. (2003). *Les Misérables*. Béjaïa. Talantikit.

Mickūnaitytė, D. (2024). *L'argot en théorie et en pratique: Sa place dans l'enseignement du FLE. Didactique du FLES*. *sur* https://doi.org/10.57086/dfles.1256 (consulté le 05 avril 2026).

Napieralski, A. (2008). *L'argot contemporain et l'argot ancien: Le passé dans le présent et le présent dans le passé*. *Séminaire doctoral, Université de Szeged, Pologne*. sur https://www.researchgate.net (consulté le 31 mars 2026)

Newmark, P. (2006). *A textbook of translation* (11th ed.). Longman.

Nida, E. A. (1964). *Toward a science of translating*. E. J. Brill.

Valdman, A. (2000).*La Langue des faubourgs et des banlieues : de l'argot au français populaire*. The French Review, *73*(6).

Venuti, L. (1995). *The translator's invisibility: A history of translation*. Routledge.

Vidocq, E.-F. (2002). *Dictionnaire d'argot français*. Éditions du Boucher. sur https://www.leboucher.com (consulté le 05 avril 2026).

Vinay, J.-P., &Darbelnet, J. (1958). *Stylistique comparée du français et de l'anglais: Méthode de traduction*. Paris : Didier.

إبرير، م. (2008). *ترجمة التعابير الجاهزة الفرنسية إلى العربية: دراسة تحليلية مقارنة لترجمة رواية البؤساء* . رسالة ماجستير، جامعة بن يوسف بن خدة، الجزائر.

هيجو، فيكتور. (1979) . *البؤساء* ترجمة منير البعلبكي، ط (2). دار العلم للملايين.